سكيزوفرينيا

أسماء حسني – مصر

تجلسُ فى وادٍ غير واديها مستغرقةً في ذاتها، وتتأرجح بينَ عالمين، أحدهما من محضِ خيالها والآخر من محض ما يفرضه عليها واقعها، تسبحُ في عالمها الخيالي الذي صنعتهُ وتوحدت معه إلي الحدِّ الذي جعلها لا تستطيع التمييز بين الواقع والخيال.

تهذي حالتها في الدقيقةِ الواحدة إلي عشرات الحالات؛ فما بين العقل والجنون شيء أهون من الشعرة، يعجزُكل من حولها عن التفاهم معها، فإن تحدثتْ ابتدعت المصطلحات الغريبة، واضطربت كلماتها وعدمت منطقيتها، وإن عبرت حضرت اللزمات الحركية في تعابير وجهها من غمض العينين ومحاولة عصرهما وهز الرأس وتحريكها لليمين أو لليسار!

تظهر عليها علامات فقدان الاهتمام بمظهرها الشخصي وإهمالها لنفسها، فهي قضيت مئاتِ الأيام في مستشفياتِ الأمراض النفسيةِ وكلَّما خرجت كانت تعاودُ إليها مرةً أخري لإ نتكاستها وربما سينتهي بها الأمر قضاء معظم حياتِها فيها.

منذ شهر مضى، قررت المصحّة إخراجَها لتحسن حالتها ولكن شاء القدر بأن يُتَوفّى والدها في هذا الشهر ويمتنع إخوتها عن استلامها وإيعادها للعيش معهم مرةً أخرى متحجّجين بأنهم ليسوا أهل اهتمامٍ بها أكثر من المصحّة، وظلّ ملفُّها معلقًا إلي أن يشفق لحالتها أحد من إخوتها ويأتي ليخرجها.

كانت حالتها محور اهتمامٍ وشفقةٍ لكلِّ الأطباء حيث وصفوا حالتها بأنها أسوأ من أي مريض شاهدوه في حياتهم؛ فحين يجتمع كل من المرض المزمنِ والحظّ السيء لا داعي من التعجب!

كان د.(حمزة المنياوي) يقف في حديقةِ المصحة وعلي بعد خطوات منها وبصحبة طبيبها المكلّف بمتابعة حالتها، وكان قد طلب منه أن يأتي في زيارة قصيرة إلي المصحّة لرؤية حالتها، أشار الطبيب إلي دكتور (حمزة) على مكان جلوسها وتركه لمهمته وانصرف.

رَمَقَها بذلك الفضول المزعج الذي تراه في أي شخصٍ يحاول الاقتراب منها، ويعطي لنفسه الحق الإلهي في التدخل فيما لا يعنيه لكونه فقط طبيبًا.

اقترب من مكان جلوسها ووقف أمامها وقال بنبرةٍ هادئةٍ:

"أتسمحي لي بالجلوس؟".

رمقته بنظرةٍ حادة، وحاولت أن تستجمع ما تقول وأخذت تردد جملته في فمها فخرجت مفتّتةً وأحست أن عقلها فارغٌ ولا تجد كلمة مناسبة تخرجها وهي تُبَرْبِشُ بعينيها محاولةً عصرهما ثم هزَّتْ كتفها في لامبالاة وعادت إلي شرودها مرة أخرة!

أخذ د.(حمزة) مجلسًا حذوها وخلع نظاراته وقال بحنو:

"لا ترهقي نفسك كثيرًا إن كنتِ لم تستجمعي ما تجيبي به عليَّ ... فقط أنصتي إلي حديثي وعاهديني أن تضعي بشرودك هذا جانبا ... اتّفقنا؟".

حدَّقت النظر إليه وأومأت برأسها علامة الموافقة!

- "حسنا ... أنتِ حالتك كانت مستقرةً جدًّا وأجزم إليكِ أنني بعد أن اطلعت علي آخر تقرير لحالتك بأن أقول لكِ إنكِ كنتِ قد تعافيتِ تمامًا ... ولكن حالت ظروفُك ووفاة الوالد بين ذلك وعدتِ لانتكاستك ثانيةً ... ولكن صدقيني... لا أحد يستطيع أن يساعدك يا بنيتي غير نفسك.. كلٌّ مشغول بنفسه في هذا العالم.. ساعدي نفسك بنفسِك.. تناولي الأدوية باستمرار ،وقاومي الأعراضَ بكل ما أوتيتِ من قوةٍ .. حاربي هواجسَك ... وضلالاتك ... دعي خيالك وودعي وحدتك ... عيشي في الواقع ... تعاملي مع من حولك ... كُفّي عن التعامل مع من ابتدعهم لكِ خيالك ... أفيقي من كل ما بداخلك ... انهضي وأزيحي عن كتفيك رمالَ المرض وبدليها بقوّتك!".

اتَّسعت حدقة عينيها وهي تحملقُ النظر إليه، كانت هزيلةً وبدا وجهُها كالقناع، نهضت فجأةً ومشيت من أمامِه كما لو كانتْ ساقاها خشبيتين، وأخذت تُهرولُ في حديقة المصحة، وهو لم يتحرّك له ساكن، وفرِح بأن ذلك ربما يكون شيئًا مبشِّرا لإستجابتها لحديثه، وأخذت تركض مخلفة من ورائها صراخاتها العالية التي كانت تدوي في ساحة الحديقة، وبعد أن انتهت عادت إلي مكان جلوسها بهدوء شديد وكأن شيئًا لم يكن وسبحت في شرودها مرة أخري.

وبعد صمتٍ دام بينهما لأكثر من نصف ساعة، حدّقت النظر بعينيها إلى أعلى وقالت بصوت يتفتت كلمة كلمة:

- "شكرا لمجيئك ... قُل للساعات أن تتوقّف... الوقت ... الوقت قد حانَ ... سوف يُغادر... الوضعُ مُرْهِب ... الجاذبيةُ تسحبني إلى الأسفل... أنا خائفة... قل لهم أن يبتعدوا ... ابتعدوا".

أصبحَ تفكيرُها وكلامُها مُشَوَّشَيْن إلى حدّ التنافر. وكانت كلما حاولت إخراج كلمة من فمِها نظرت بعينها إلى أعلى، ولم تخفضها إلا بعد أن تنتهي من جملتها".

استاء د.(حمزة) من عودتِها إلي ضلالاتها مرةً أخرى وقال لها بنبرة حادة يستوقفها:

- "كُفِّيْ عن هذا ... كل ما تسمعينه وتشاهدينه أمامك لا أساس له من الصحّة ... كفاكِ هواجس لقد نال الإرهاق منك ما نال".

انتفضت لكلماته هذه ووضعت بكّفيها علي أذنيْها وجَزَّت علي عينها تعصرهما ثم نهضت فجأةً واقتربت منه وأمسكت به من ياقة قميصه بقوة وقالت في رعب شديدٍ:

- "قالوا لي إنك ما أتيت إلا لتقتلني ... ولكني أنا من سيقتلك ... سأقتلك ... سأقتلك".

obeikandl.com